إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الثالثة عشرة ـ العدد الحادی والخمسون ـ خریف ١٤٠٢ش/ أیلول ٢٠٢٣م

صص ٨٨ ـ ٦١

صورة الإنسان فی قصائد أبی‌تمّام من منظور علم الدلالة المعرفی

زهرا کرم‌زادگان*

الملخص

یتناول هذا البحث معتمدا علی المنهج الوصفی – التحلیلی دراسة ٢٠٠ بیت من دیوان أبی تمام من منظور علم الدلالة المعرفی بشکل عام مع مرکزیة الاستعارات التشخیصیة بشکل خاص بغیة الوصول إلی صورة الإنسان المختفیة تحت ستار التشخیص. تشیر بیانات البحث إلی أنّ الاستعارات التشخیصیة عند أبی تمام تنقسم إلی قسمین: استعارات ذات طبیعة تصوریة واستعارات لغویة محضة. إنّ الاستعارات الأنطولوجیة التشخیصیة تدور عادة حول محور مفهوم "الدهر" ومجموعته الفرعیة من الزمن ومروره والحوادث والنوائب کما أنّها قد بنیت علی الاستعارتین التصوریتین هما "الحیاة شیء ثمین" و"الحیاة رحلة". علی أساس استعارة "الحیاة شیء ثمین" إنّ الدهر سارق یسرق تارة قهرا ویسرق تارة فی ثوب الصدیق. وقد عالج أبوتمّام استعارة "الدهر سارق" علی ثلاثة مستویات مختلفة. وعلی أساس استعارة "الدهر رحلة" إنّ الدهر دلیل السفر یخبر المسافرین بوصولهم إلی المقصد أی الموت.إنّ الاستعارات التشخیصیة اللغویة فقط ترتبط ارتباطًا مباشرًا بتجربة أبی تمام المعاشة وظروف حیاته وموهبته الذاتیة. لقد أبدع هذه الاستعارات من أجل إزالة الوحدة والعزلة، والارتقاء ببعض المفاهیم والموضوعات، وإبراز قوة خیاله. وتظهر الاستعارة التصوریة "الدوام والاستمرار صلة القرابة" بوضوح فی الاستعارات التی نشأت من وحدة الشاعر.

الکلمات الدلیلیة: علم الدلالة المعرفی، الاستعارات التصوریة، الاستعارات الأنطولوجیة التشخیصیة، الاستعارات اللغویة، أبوتمام.

---

*. أستاذة مساعدة فی قسم اللغة العربیة وآدابها، جامعة العلامة الطباطبائی، طهران، إیران
karamzadegan_z@atu.ac.ir

تاریخ الاستلام: ١٤٤٤/٠٨/٢٢ق تاریخ القبول: ١٤٤٤/١١/٢٦ق

المقدّمة

إنّ اللغويين المعرفيين يدرسون العلاقة القائمة بين لغة الإنسان وعقله وخبراته الاجتماعية والجسدية، ويعتقدون بأنّ اللغة تعكس أنماط التفكير وخصائص العقل البشرى (Croft, 2004:1). يعالج علم الدلالة المعرفى دراسة الصلة بين المعنى وإرجاعه فى العالم الحقيقى ويشمل الموضوعات والمفاهيم مثل الاستعارة والمجاز والفضاءات الذهنية والمزج التصورّى وما إلى ذلك (راسخ مهند، ١٣٩٠: ٣٤)

«إنّ نسقنا التصورّى فى جزء كبير منه ذو طبيعة استعارية. فإنّ كيفية تفكيرنا وتعاملنا وسلوكاتنا فى كلّ يوم ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة. وبما أنّ التواصل مؤسس على نفس النسق التصورّى الذى نستعمله فى تفكيرنا وفى أنشطتنا فإنّ اللغة تعدّ مصدرا مهما للبرهنة على الكيفية التى يشتغل بها هذا النسق» (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩: ٢١). فى هذا الصدد يشجعنا الشعر من خلال الاستعارة على استخدام عقولنا بطريقة تمكننا من توسيع قوتنا الطبيعية إلى ما هو أبعد من نطاق الاستعارات التى اعتدنا من خلالها رؤية العالم. إنّ الاستعارات الوضعية للغة اليومية والاستعارات الشعرية ليس بينهما فرق جوهرى بل بينهما صلة وثيقة يرتبط بعضها ببعض. يبدع الشعراء استعارات شعرية باستخدام إجراءات خاصة وبمساعدة الاستعارات الوضعية (Kovecses,2010: 52- 53) وإنّ حبيب بن أوس المكنّى بأبى تمام شاعر مشهور مبدع فى العصر العباسى أكثر من استخدام الاستعارات فى أشعاره. فتقصد هذه الأوراق البحثية تسليط الضوء على الاستعارات الواردة فى أبياته من منظور علم الدلالة المعرفى بغرضين أولّهما تقديم طريق لفهم أفضل لأبياته وثانيا دراسة تأثير تجربة أبى تمّام المعاشة واستعداده الذاتى على إنشاد أشعاره. للوصول إلى هذا، قد اختير ٢٠٠ بيت من ديوانه من المدحيات والوصفيات والفخريات والزهديات. وأظهرت الدراسة الأولية أن الاستعارات التشخيصية إما التصورية وإمّا اللغوية هى الأكثر تكرارا فى ديوانه. فركّز المقال على هذا النوع من الاستعارات و وأجل الدراسة فى أنواع أخرى من الاستعارات التصورية فى ديوانه إلى بحث آخر. ولهذا الغرض تم استخراج جميع الاستعارات التشخيصية للمجتمع الإحصائى ثم تم فصل الاستعارات التشخيصية

التصورّية وغير التصورية وتحليل كلتا المجموعتين بشكل منفصل.

أسئلة البحث

حاول هذا البحث أن يجيب عن السؤالين التاليين:

- لماذا كثرت وتغلبت الاستعارات التشخيصية على بقية أنواع الاستعارات فی ديوان أبی تمّام؟
- ما هی فاعلية معنوية للاستعارات التشخيصية فی ديوان أبی تمّام؟

فرضيات البحث

بما أنّ التشخيص أحد الموضوعات الواردة فی علم النفس كذلک ويطرح فی علم النفس أسباب معينة لرغبة الأشخاص فی استخدام التشخيص يبدو أنّ جذر رغبة أبی تمّام الوافرة فی التشخيص يعود إلی ظروف حياته وما عاناه من الوحدة والعزلة والفقر وتعدد الرحلات كما أنّه لايمكن إغماض العين علی موهبته العظيمة فی تنمية الخيال واستغلاله فی خلق مشاهد إنسانية من غير إنسان.

إنّ كشف الترابط المركزی فی الاستعارات المستخدمة فی ديوان أبی تمّام يوصلنا إلی الاستعارة الكبيرة وإلی نسق منسجم من الاستعارات فهذا نفسه يؤدّی إلی إزالة الستار من المعنی المختفی فی الأبيات وارتكازا علی دوافع الشاعر فی تناول الاستعارات التشخيصية من جانب آخر يتبين لنا إلی حد أقصی معنی ضمنيا قصده الشاعر.

خلفية البحث

تتعدّد الأبحاث التی عرّفت علم الدلالة المعرفی وآلياته أو طبّقتها علی أنواع النصوص فی إيران والبلدان العربية. منها:

- تناول عبد الله الحراصی (٢٠٠٢) فی كتابه المعنون بـ"دراسات فی الاستعارة المفهومية" قضية الاستعارة باعتبارها ظاهرة ذهنية تمكن التفكير البشری من التعامل مع المجردات ثم يقدّم دراسات تحليلية تسلّط الضوء علی دور الاستعارة فی تشكيل المفاهيم الفلسفية والدينية والسياسية.

- – قام عبد المجيد حجفة (٢٠٠٩م) بترجمة المؤلف المشترک لِـ جورج لايكوف ومارک جونسون الموسوم بـ "الاستعارات التی نحیا بها" إلی العربیة.
- تطرّقت جمیلة کرتون (٢٠١١ م) فی رسالتها الموسومة بـ "الاستعارة فی ظلّ النظریة التفاعلیة "لماذا ترکت الحصان وحیدًا" لمحمود درویش أنموذجًا" إلی دراسة الاستعارات التصوریة الواردة فی قصائد درویش فی دیوانه المذکور أعلاه «للاستدلال عن فرضیة کون الاستعارة تعمل علی بنینة مختلف خطاباتنا الیومیة العادیة استنادا إلی تجاربنا الفیزیائیة» (کرتون، ٢٠١١: ١).
- قام عمر بن دحان (٢٠١٢م) فی أطروحته التی تحمل عنوان "الاستعارات والخطاب الأدبی" بتحلیل بعض النصوص الأدبیة بعد إلقاء إطار تنظیری حول الاستعارات التصوریة والمزج التصوری وکذلک عالج السیمیائیات المعرفیة وتداولیة الاستعارة.
- قدّم عمر بن دحمان (٢٠١٨م) فی بحثه المعنون بـ "قراءة فی کتاب "الاستعارات التی نحیا بها" تألیف جورج لایکوف ومارک جونسن" عرضًا للتذییل الذی جاء فی آخر کتاب "الاستعارات التی نحیا بها" فی طبعته الجدیدة سنة ٢٠٠٣.
- تحدّثت آزیتا أفراشی (١٣٩٥ه.ش) فی کتابها الذی یحمل عنوان "مبانی معناشناسی شناختی" عن علم الدلالة المعرفی وماهیته وجذوره الفکریة وآلیاته أی المخططات التصوریة والاستعارات التصوریة والمجاز التصوری و...
- قامت هجیرة لعور (٢٠١٨م) فی مقالتها الموسومة بـ "الاستعارة التصوریة فی روایة "عندما تشیخ الذئاب" لـ جمال ناجی من منظور لایکوف وجانسون" باستخراج الحقول المبدئیة والمقصدیة والاستعارات التصوریة فی هذه الروایة.
- استخرج إسماعیل نادری وزملاؤه (١٣٩٩ ه.ش) فی مقالتهم تحت عنوان "دراسة الاستعارة المفهومیة ومخططات الصورة فی مجموعة "تأبّط منفی" الشعریة (وفقا لآراء لایکوف وجانسون)" الاستعارات التصوریة الواردة فی الأشعار بغیة الوصول إلی مبادئ الشاعر الفکریة.
- قد ترجم جهانشاه میرزا بیگی (١٤٠٠ ه.ش) المؤلف المشترک لِـ وی ویان اونز

وملانی گرین الموسوم بـ "علم اللغة المعرفی" علی ثلاثة مجلدات بالفارسیة. یتحدث هذا الکتاب عن علم اللغة الدلالی وعلم الدلالة المعرفی ومبانیهما.

- قد تناولت زهره هاشمی (١٤٠٢) فی کتابه الذی یحمل عنوان "عشق صوفیانه در آینة استعارة" الاستعارات التصوریة وفاعلیتها فی معالجة مفهوم الحبّ عند الصوفیین بعد أن قدّمت إطار تنظیریا مفصّلا حول علم الدلالة المعرفی وآلیاته.

فرغم أنّها کثرت الدراسات حول هذا الشاعر الفرید إلّا أنّ أشعاره لم تدرس بعدُ من المنظار المعرفی.

الإطار التنظیری للبحث

الاستعارات التصوریة

وإذا اعتبرنا علم اللغة المعرفی هو دراسة خصائص اللغة التی تنعکس من خلالها جوانب أخری من الإدراک الإنسانی، فإن الاستعارة هی أبرز مظاهر هذه الخصائص (بلقیس وزمیلته، ١٣٩٥: ١١٤). إنّ الاستعارة التصوریة هی فهم الأشیاء المجردة بناءً علی أشیاء ملموسة؛ التفکیر الاستعاری هو تصور المفاهیم العقلیة (فتوحی، ١٣٩١: ٣٢٥). إنّ الاستعارة لا تجعل الفکرة أکثر وضوحًا وجاذبیة فحسب، بل تشکل فی الواقع بنیة تصوراتنا وإدراکنا وتفکیرنا وسلوکنا. یدّعی علم الدلالة المعرفی بأنّ الاستعارة لیست خاصیة لغویة تنصب علی الألفاظ. وعلی العکس من ذلک، انتبه إلی أنّ الاستعارة حاضرة فی کل مجالات الحیاة الیومیة وأنّ النسق التصوری العادی الذی یسیر تفکیرنا وسلوکنا له طبیعة استعاریة بالأساس. (لایکوف وجونسون، ٢٠٠٩: ٢١).

تعتبر النظریة المعاصرة للاستعارة أن العدید من المفاهیم المجردة لها بنیة استعاریة. بتعبیر آخر غالبًا ما یتم شرح المفاهیم المجردة جرّاء الاستعارات. وبهذه الطریقة تصبح الأشیاء المجردة ملموسة ومفهومة لنا. وفقا لهذه النظریة فإن الاستعارة لا تقتصر علی الشعر والأدب، بل تشمل جمیع جوانب الحیاة (فتوحی، ١٣٩١: ٣٢٥).

یتکون کل استعارة تصوریة من أربعة مکونات: حقل المبدأ الذی یسمی بحقل "الباء" وحقل المقصد الذی یسمّی بحقل "الألف" والترابط واسم الترابط.

حقل "الألف" وهو ما يسمى الهدف أيضا هو بشكل عام شؤون عقلية ومفاهيم مجردة. المفاهيم المستهدفة مجردة ومنتشرة وتفتقر إلى حدود واضحة. ونتيجة لذلک تستخدم للتصورات الاستعارية وأكثرها شيوعًا هی: العاطفة (اهتزّت روحها بشدة) والأخلاق (لقد قاوم أمام الإغراء) والأفكار (أنا أفهم وجهة نظرک) والعلاقة الإنسانية (هما خلقا قوية راسخة). والزمن (الوقت يمر مثل الكهرباء) (Kovecses,2010:20)

- حقل "الباء" ويسمى المصدر أيضا وهو عادة أمور موضوعية أكثر عرفا. وبناء على دراسة وسيعة إنّ المصادر الأكثر شيوعا للترابطات الاستعارية هی: جسم الإنسان (قلب الموضوع) و الحيوانات (الثعلب الخبيث) والأشجار (ثمرة عمله) و الطعام (لقد طبخ خطة) والقوات (لا تضعنی تحت الضغط)
- الترابط هو الصلة بين الحقلين والتی تتم فی شكل تطابقات بين المجموعتين و اسم الترابط هو حكم وإسناد يجری على اللسان (م.ن: ٢٠)

تنقسم الاستعارات التصورية إلى ثلاثة أقسام: الاتّجاهية والبنيوية والأنطولوجية. فی الاستعارات الاتّجاهية يتم تنظيم نظام كامل للمفاهيم وفقًا لنظام آخر ذی اتجاهات مكانية مثل عالٍ- مستفلٍ، وداخل – خارج، وأمام – وراء و...«فهذه الاستعارات تُعطی للتصوراتِ توجّها فضائيا، كما فی التصور التالی "السعادة فوق". فكون تصور السعادة موجّها إلى أعلى هو الذی يبرّر وجود تعابير من قبيل "أحسّ أنّنی فی القمّة اليوم" (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩: ٣٣). الاستعارات البنيوية هی المسؤولة عن تنظيم وتنسيق مفهوم واحد فی مجال مفهوم آخر بطريقة ذات نسق (Nubiola,2000: 75). يتمثل الدور المعرفی للاستعارات البنيوية فی أنّها توفر إمكانية فهم حقل المقصد من خلال بنية حقل المبدأ (Kovecses,2010: 15). والاستعارات الأنطولوجية تنقسم على ثلاثة أقسام: استعارات الكيان والمادّة، واستعارات الظرف واستعارات التشخيص. «نستخدم الاستعارات الأنطولوجية لفهم الأحداث والأعمال والأنشطة والحالات. إنّنا نتصوّر الأحداث والأعمال استعاريا باعتبارها أشياء، والأنشطة باعتبارها موادّ، والحالات باعتبارها أوعية» (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩: ٤٨).

الاستعارات التشخیصیة

«ربّما تکون الاستعارات التشخیصیة التی نخصص فیها الشیء الفیزیائی کما لو کان شخصا من أبرز الاستعارات الأنطولوجیة. هذه الاستعارات تسمح لنا بفهم عدد کبیر ومتنوع من التجارب المتعلّقة بکیانات غیر بشریة عن طریق الحوافز والخصائص والأنشطة البشریة» (لایکوف و جونسون، ۲۰۰۹: ۵۳). هذا هو التشخیص أو إضفاء طابع إنسانی علی المفاهیم المجرّدة. یسمح لنا التشخیص باستخدام الوعی والمعرفة التی لدینا عن أنفسنا لفهم مفاهیم أخری مثل الوقت والموت والأشیاء غیر الحیة والقوی الطبیعیة (هاشمی، ۱۳۸۹: ۱۳۷)؛ لأن العقل البشری یعالج المعلومات الاجتماعیة بسرعة. ولذلک فمن الطبیعی أن یقیم غیر البشر بنفس عملیة التفکیر.

من ناحیة أخری إنّ التشخیص فی علم النفس أداة لتلبیة الاحتیاجات الاجتماعیة ویمکن أن یحقق الفوائد التالیة:

- تقلیل مشاعر الوحدة والعزلة؛ لأنه من خلال إسناد الصفات البشریة إلی غیر البشر، یمکن للإنسان أن یشعر أنه یستطیع التواصل معه بشکل قد لا یتمکنه من التواصل مع الآخرین.
- إعطاء معنی للعالم والسلوکیات والأحداث التی یواجهها الإنسان.
- خلق رابطة عاطفیة

تظهر الأبحاث أیضًا أن الأشخاص الذین یتمتعون بذکاء اجتماعی أعلی وتعاطف أو میل أکثر إلی التفکیر الأخلاقی أو لدیهم عقل إبداعی یستخدمون التشخیص أکثر من غیرهم (https://mantracare.org/therapy/issues/anthropomorphize)

«وما یجب الاهتمام به هو استخدام أنواع محدّدة من الأشخاص دون آخرین لتشخیص هدف ما. یری لایکوف أنّ السبب یعود إلی استعارة المستوی العام "الأحداث أعمال" یعنی أنّنا نری الأحداث بوصفها منتوجا لعامل وفاعل یقصد ذلک. أی بما أنّ الأعمال لها مثل هذا الفاعل سنری الأحداث بنفس الطریقة و النتیجة ستکون تشخیص الأحداث مثل الزمن والموت. فعلی سبیل المثال یمکن مفهوما کزمن أن یتبدّی کفاعل مثل حاصد أو ملاحق و .... أمّا لماذا هؤلاء الفاعلین المخصوصین؟ فالأمر یعود

جزئيا إلى أنّنا نملک بعض الاستعارات لتصورات تجعل الزمن مؤثرا فی الحياة والناس وغـير ذلک. مثلا مع اسـتعارة "الناس نباتات" يمكن أن يتصـور الزمن كحاصد يمكنه قتل الناس. إذن إنّنا نفهم الزمن اسـتعاريا بوصفـه مبدّلا كيان يمكن التأثير فی الناس والأشـياء بطرق متعارضة بصفة خاصة و هذه المعارف حول الزمن تشـرح الكثير من التشخصيات التی نستخدمها عنه. والكثير من التصورات المجردّة الأخرى كالموت مثلا يمكـن تحليلها بطرق مماثله» (لايكـوف، ١٩٩٣: ٢٣١- ٢٣٢؛ نقلا عن عمر بن دحان، ٢٠١١: ١٤٠- ١٤١).

التحليل

ومن خلال دراسة أبيات ديوان أبی تمام يتبين لنا أن التشخيص هی إحدى الظواهر الشائعة فی ديوانه. ومن أبرز المفاهيم التی شخّصها أبو تمام هی: الدهر، الزمن ومروره، الأحداث و المشـاكل ومحن الحياة، الموت، الفضائل والرذائل الأخلاقية، أجزاء جسـم الإنسـان، العواطف والمشـاعر، الحيوانـات، القصائد ومظاهر الطبيعـة. ومن بين هذه المفاهيـم، فإن الدهر ومجموعته الفرعية لها تردد أعلى بكثير من المفاهيم الأخرى. ومن ناحية أخرى، فإن بعض هذه الاسـتعارات التشـخيصية تصورية وبعضها لغوية. تعتمد الاسـتعارات التصورية التشخيصية على اسـتعارة تصورية أخرى بينهما صلة مباشرة، والاسـتعارات اللغوية التشخيصية غالبًا ما يتم تشكيلها على أساس استعارة تصورية لا ترتبط ارتباطًا مباشرًا بذاک التشخيص. وفيما يلی سيتم تحليل هذه الاستعارات.

أ- الاستعارات الأنطولوجية التشخيصية

إن الاسـتعارات الأنطولوجية التشـخيصية المتوفرّة فی المجتمع الإحصائی للبحث ترتبط جميعها بمفهوم الدهر والزمن ومروره والأحداث والمشاكل وشدائد الحياة والموت، والتی تعتـبر فی هذا البحث كلّها من مجموعة مفهوم الدهر. وتعتمد هذه الاسـتعارات التشـخيصية على اسـتعارتين تصوريتين: "الحياة شـیء ثمين" و"الحياة رحلة"، كما هو موضح أدناه:

١- الحياة شيء ثمين

يبين الجدول التالى التطابقات بين حقلى المبدأ أى "شيء ثمين" و المقصد أى "الحياة":

الشيء الثمين	الحياة
إنها ثمينة وقيمة وتحتاج إلى رعاية	يجب على المرء أن يستخدم الحياة بكفاءة ويقدرها
قد تُسرَق	الأحداث يمكن أن تعطل أو تدمر حياة الإنسان

وانطلاقاً من هذه الاستعارة التصورية، بنى أبو تمام فى ذهنه استعارة "الدهر اللص". ثم تجلت هذه الاستعارة فى الاستعارات اللغوية على ثلاثة مستويات. المستوى الأول: الإشـارة المباشرة إلى السارق المستوى الثانى: الإشـارة إلى صفات السارق السلبية والثانوية المستوى الثالث: الإشارة إلى الخصائص الإنسانية التى يمتلكها السارق أيضًا بوصفه إنسانا.

المستوى الأوّل

وعلى هذا المستوى يرى الشاعر أن العالم يرتكب السرقة بطريقتين مختلفتين: السرقة قهرا والسرقة فى ثوب الصداقة

لا أنّه خذلته أسـباب الغنى أو راح من سَلَبِ الزمانِ سليبا

(أبوتمام، ١٩٨٦: ١٩٠)

(خـذل ـُ خَـذلاً فلانا: ترک نصرتَه وإعانتَه؛ السـبب: ج أسـباب، الطريق؛ الغنى: الاكتفاء واليسـار والثروة؛ السَلَب: الاختلاس وانتزاع الشيء من الغير قهرا؛ السليب: ج سلبى، المختلس العقل أو المال)

وكما يلاحَظ فى المصرع الثانى، يجعل الشـاعر الوقت سـارقا يسـلب. واستخدام فعل "سـلب" يدل على أن الشـاعر يعرف أن الحياة شيء ثمين ويصونها؛ وهذا يعنى أن الشـاعر يبذل كلَّ جهده لتحسـين حياته وتقدمها، لكن الزمن يسـرق قهرا و هذا ليس بسـبب إهمال الشـاعر. ومن الطبيعى ألا نتوقع المروءة والمساعدة من السارق. ولذلک يقول الشـاعر فى المصرع الأول إن طرق كسـب المال تركتنى وشأنى ومهما حاولت لم

أحقق الرخاء المنشود.

أليس الليالى غاصباتى مُهجتى كما غصبت قبلى القرون الخواليا

(أبوتمّام، ١٩٨٦: ٤٣١)

(غَصَب – غصبا الشـيءَ: أخذه قهرا؛ المُهجة: ج مُهج، الروح، الدم؛ القرن: ج قرون، أهل زمان واحد ؛ خلا ـُ خلوّا الشيء: مضى)

فى هذا البيت نرى الدهر لصّا محترفا خبيرا يختلس ويسرق قهرا كما يؤكّد الشاعر على أنّ الدهر من قديم الزمان كان يتّصف بالسرقة.

كلما حاول لص السرقة قهرا، هناك احتمال حدوث صراع جسدى. بناء على هذا يقول الشاعر:

ولَربّما أشـكته نكبـةُ حادث نكأت بباطـنِ صفحتيه نُدوبا

(م.ن: ١٨٩)

(أشـكى هـ: فعل به فعلا أحوجه إلى أن يشـكوه؛ النكبـة: ج ات، المصيبة؛ نكأ ـَ نكأ القرحة: قشـرها قبل أن تبرأ؛ الصفحتان: الخدّان؛ الندبة: ج نُدب وجج: نُدوب، أثر الجرح الباقى على الجلد؛ الباطن: ج بواطن، الداخل والجوف)

يتحدث الشاعر فى هذا البيت عن الجروح التى أحدثتها مشاكل الحياة فى روحه. فباستخدام فعل "نكأ" يريد أن يقول أن المشاكل تأتى نحوه دون توقف وعلى استمرار. لم تغادر حياته آثار المشكلة السابقة بعد حتّى ستأتى إليه المشكلة الجديدة، كما استخدام "باطـن" يدلّ على أنّ هذه الجروح عميقة جدا أى تركت هذه المشـاكل أثرا كبيرا فى حياته.

وإذا تصاعد واشتدّ هذا الصراع، فقد يؤدى إلى القتل. ولذلک يصف الشاعر الموت بأنه قتل حدث جرّاء صراع شديد وقع بين السارق وصاحب المال ويقول:

فأقبلت الأيـام ترتاد مصرعا لجسمک فارتد إذ تيقّنت مضجعا

(م.ن: ٤٣٠)

(ارتاد الشـيء: طلبه؛ صرع ـَ صرعاه: طرحه على الأرض؛ تيقّن الأمر وبه: علمه وتحقّقه؛ مضجع: ج مضاجع، موضع النوم، مكان وضع الجَنب بالأرض)

وفی هذه المعرکة یمکن أیضًا رفع قناع اللص من وجهه ورؤیة الخاسر وجهه. فیقول الشاعر:

وشّمر فقد أبدی لک الموت وجهه ولیس ینال الفوز إلّا المُشـّمرُ

(م.ن: ٤٢٩)

(شمّر للأمر: أراده وتهیأ له)

عندما یقترب الإنسان من منتصف العمر، یفکر أکثر فی الموت. ویصور الشاعر هذا المفهوم فی صورة لص یقترب من شـخص لأنه یرید قتله ومن ثم نهب ممتلکاته، لذلک لا یخشی أن یتعرّف الخاسر علیه فیزیل القناع عن وجهه.

ویقول أیضاً فی مکان آخر:

فلا تأمن الدنیا وإن هی أقبلت علیک فمازالت تخون وتغدر

(أبوتمام، ١٩٨٦: ٤٢٩)

(أمـن ـ أمناه: وثق به وأرکن إلیه؛ خـان ـُ خونا: أؤتُمِن فلم ینصح؛ غدر ـُ غدراه: خانه ونقض عهدَه)

فـی بعض الأحیان یبدو الدهر لصا یقترب منک بثوب صدیق، فیکسـب ثقتک، ثم یخونک ویسرق بضائعک الثمینة؛ وهذا یعنی أن الشاعر یرید أن یقول إنه حتی لو وصل إلی السـلام فی مرحلة ما من حیاته، فسـرعان ما جرت الأحداث بطریقة حرمته من تلک الراحة.

وقد قام هذا اللص بهذه الشذوذات من قبل وخان الآخرین أیضًا:

وقد غَدَرَت قبلی بطسم وجُرهُم وآل ثمود بعد عـاد بن عادیا

(م.ن: ٤٣٠)

المستوی الثانی

فی عملیة السـرقة فی الواقع ینتهک السـارق خصوصیة شـخص آخر ویعتبر ما هو للغیر من حقه. ولذلک فإن الشـخص الذی یعانی من هذا الشـذوذ السـلوکی فی الواقع لدیه سلسلة من السمات الشخصیة السلبیة المتأصلة فیه. وقد صور أبو تمام هذه

السمات الشخصية باستعارات لغوية مختلفة:

ومن قامر الأيــام عن ثمراتها فأحجِ به أن تنجلي ولها القمر

(م.ن: ٤٢٣)

(قامره: راهنه ولاعبه في القمار؛ الثمرة: ج ات، فاكهة؛ أحجى هـ بكذا: جعله خليقا به؛ انجلى: انكشف؛ قَمر – قَمراه: غلبه في القمار)

إنّ القمار عمل مستهجن. لكن اللص المحترف الخبير لايأباه ومن المفارقات أنه يفوز دائمًا. يمكن تفسير ذلک بأن الشاعر يريد أن يقول إن خطأً صغيراً في الحياة يمكن أن يضرّ بمكانة الشخص بأكملها وفي لحظة واحدة يمكن أن يخسر كلّ رأسماله المادّي والمعنوي:

كثرت خطايا الدهر في وقديري بنداک وهو إلى منها تائب

(أبوتمام، ١٩٨٦: ٣٢)

(الخطيئة: ج خطايا، الذنب وقيل المتعمّد فيه؛ الندى: ج أندى، الجود والفضل والخير)

اللص الذي لايحترم خصوصية الآخرين، من الطبيعي أن يرتكب الكثير من الأخطاء في تعاملاته اليومية ويهدر حقوق الآخرين. يرى الشاعر أنه بحسب قدراته لم يصل إلى المكانة التي يستحقها. يقول في هذا الصدد أيضا بقوله:

لكنّه عَجَبٌ وليس بمُعجب أن شام من حكم الزمان عجيبا

(م.ن: ٤٢١)

(شام – شيما البرق: نظر إليه أين يتّجه وأين يمطر)

وفي هذا البيت أيضا إنّ الدهر قاض ظالم لا يعطي الحقَ صاحبَه.

عادة ما يتّصف السارقون بالعناد والجشع والحقد. ويمكن أن يكون للثروة غير المشروعة تأثير سلبي على جيلهم وإنجاب أولاد غير صالحين. ولذلک يقول أبو تمام:

أُغضي إذا صرفه لم يغضِ سورتَه عنّي وأرضي إذا ما لجَّ في الغَضَب

(م.ن: ٤١٩)

(أغضى عينه: طبّق جفنيها حتّى لايبصر شيئا؛ أغضى على الأمر: سكت وصبر؛ صرف الدهر: ج صروف، نوائبه وحدثانه؛ السورة:الحدّة؛ أغضى عنه طرفه: صدّه وأعرض عنه؛

رَضِى ـَ رضاه، به وعنه: ضد سخط؛ لجّ ـِ لججا فى الأمر: لازمه وأبى أن ينصرفه)

المشـاكل ترنو إلى الشـاعر ولاتغضى طرفها عنه. إنّ الدهر شخص عنيد لجوج لا يتوقف عن الغضب. فى الحقيقة يشير الشاعر إلى ظروف حياته الصعبة من الفقر واليتم والتشرد التى عانى منها منذ طفولته. ولاتزال هذه الظروف معه.

أُسيءعلىالدّهرالثناءَفقدقضى علـى بجـورٍ صرفـه المتتابع

(م.ن: ٤٢٦)

(أساء الشيء: أفسده؛ قضى عليه: قتله؛ المتتابع: الجائى بعضها فى أثر بعض)

يقول الشـاعر فى هذا البيت إنّ الدهر شـخص مكروه سيئ السمعة يهجا؛ لأنه دمر حياته بسلوكه القاسى والمتوالى.

خَطَبت خُطوب الدَّهر منه خُطبةً نتجـت عليه تجاربـا ونُكوبا

(م.ن: ٤٢١)

(خطب ـُ خطبا وخطبة ها: دعاها أو طلبها إلى التزوّج؛ الخطب: ج خطوب، الأمر العظيم المكروه؛ نتج ـِ نتاجاه: ولده؛ النكب: ج نُكوب، المصيبة)

إن الدهر سـارق يشكّل أسـرة ولكن ذريته ليسـت طيبة. ثمرة هذا الزواج تجارب ومتاعـب مريرة. مـن ناحية أخـرى، إنّ الخطوبة مبنية على الحب. ولذلك يسـتخدم الشـاعر هذا الفعل ليصرّح مرة أخرى بأن الدّهر يقترب من الإنسـان فى ثوب محبّ، لكنه يدمر حياة الإنسـان؛ ومن ناحية أخـرى إن الأمرأة التى تُخطَب تنتظر أيام الحب الحلوة. لذلك، عندما يتوقع الإنسان أن تسير حياته على منوالها الطبيعى وتحدث أشياء سعيدة، تفاجئُه أحداث مؤسفة.

كم ذُقتُ فى الدهر من عُسر ومن يسر وفى بنى الدّهر من رأس ومن ذَنَب

(أبوتمّام، ١٩٨٦: ٤١٩)

(ذاق ـُ ذوقـاه: اختبر طعمه؛ الـرأس: ج رؤوس: عضو رئيس من أعضاء الحيوان والإنسـان! رأس القوم: رئيسـه؛ الذنب: ج أذناب، عضو معروف من أعضاء الحيوان ! أذناب الناس: سفلتهم)

فـى هذا البيت يصف الشـاعر الناس من حوله بأنهم أبنـاء الدهر، لكنه فى الوقت

نفسه يستخدم الاستعارة التصورية "الإنسان حيوان" للتعبير عن عدم رضاه عن الناس من حوله وللتأكيد على أنّ الناس صغيرهم وكبيرهم غارقون فى حياتهم الحيوانية تابعون لغرائزهم لايميلون إلى القيم الأخلاقية والإنسانية. فبناء على هذا، أولاد الدهر بوصفه سارقا غيرُ صالحين.

عادة لا يتمكّن السارقون من الإقامة فى مكان واحد للحفاظ على أمنهم فلايزالون ينتقّلون. ولذلک نرى فى ديوان أبى تمام أبياتا يذكر فيها الدهر مسافراً:

وإنّى إذا ألقى بربعى رحلَه لأذعره عن سربه وهو راتع

(م.ن: ٤٢٦)

(الربع: ج رباع، الدار؛ الرحل: ج رحال، ما يجعل على ظهر البعير كالسّرج، ما تستصحبه من الأثاث فى السفر؛ ألقى رحله: أقام؛ أذعره: أخافه؛ السرب: ج أسراب، الطريق؛ الراتع: ج رُتُع، الذى أقام فى مكان وتنعّم وأكل فيه وشرب ما شاء فى خصب وسعة ورغد)

فى هذا البيت إنّ الدهر ونوائبه سارق يريد الإقامة فى بيت الشاعر على هيئة مسافر. يخاطبه الشاعر بقوله: أمامک طريق طويل اترک بيتى وسِر بقية طريقک. لكن هذا اللص يترصد ليسرق أشياء الشاعر الثمينة فى الوقت المناسب. فلا ينوى الرحيل. ويقصد بهذا الكلام الشاعر بأنّه لماذا تحل به المصائب ولماذا لا يبتَلى الآخرون؟ كذلک يشير هذا البيت إلى الآية الشريفة ﴿إن يمسسكم قرح فقد مسّ القومُ قرحٌ مثله وتلک الأيام نداولها بين الناس﴾ (آل عمران: ١٤٠).

إنّ الضيف الذى بذاته سارقٌ لايتّصف برحمة ومعرفة. فلا يفى بحقوق المضيف ويحاول أخيرًا طرد المالک من منزله:

لتَمحوَ آثارى وتُخلِق جِدّتى وتُخلى من ربعى بكره مكانيا

(أبوتمام، ١٩٨٦: ٤٣٠)

(محا ـُ محوا الشىء: أذهب أثره وأزاله؛ أخلق الثوب: صيره باليا؛ الجِدّة: الثوب؛ أخلى المكان: جعله خاليا؛ الرِبع: ج أرباع، الدار)

إنّ السارق لا يتحمل أبدًا مسؤولية سلوكه الخاطئ ولا يعتبر نفسه مسؤولاً عن

الممتلكات المفقودة. ولذلک يقول الشاعر:

أُصوّت بالدنيا وليست تُجيبنی أحــاوِل أن أبقی وكيف بقائيا

(م.ن: ٤٣٠)

المستوى الثالث

إنّ مفهــوم "الدهر" المشــخّص فی عدد مــن الأبيات قد صُوِّرَ إنســانا يتفاعل معه الشاعر كأی إنسان آخر، كما أنّ السارق يعيش فی قلب المجتمع ويتواصل.

بل سافحٌ بنواصی الأمرِ مشتملٌ على قواصيه فی بدء وفی عقب

(م.ن: ٤٢٠)

(سفح ـَ سفحا بناصية: أمسک شعر جبهتها وسحبه؛ اشتمل عليه: أحاط به؛ القاصية: ج قواص، البعيد؛ البدء: ج أبداء، أوّل الحال؛ العقب: ج أعقاب، آخر الحال)

فی هذا البيت يفتخر الشــاعر ويؤكد على بصيرته وحزامته. أثناء كلامه يســتخدم عبارة "نواصی الأمر" ليبين أنّه يری الدهر إنسانًا يمسک الشاعر شعيرات جبينه ويضعه تحت ســيطرته. يشــير هذا البيت أيضاً إلى الآية الكريمة: ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصی والأقدام ﴾ (الرحمن:٤١).

صرمت حبالَ الدهر منه صريمةٌ تركت بقلب النائباتِ وجيبا

(م.ن: ٤٢١)

(صرم ـِ صرما الشــیء: قطعه؛ الصريمة: ج صرائم، العزيمــة؛ النائبة: ج ات، النازلة والمصيبة؛ وجب ـِ وجيبا القلب: رجف وخفق)

يتحدث الشــاعر فی هذا البيت عن عزيمته وإرادته الراســخة التی استطاع بها أن يقف فی وجه المشــاكل. إنّ المشاكل هی الســارق الذی يهزّ الشاعر قلبه. لقد استخدم فعل "واجب" ولا فعلا نحو "أهلک" ليقول إنه مهما قاوم أمام المصاعب وســعی للحياة فإن هذه المصاعب لاتنتهی تماما، بل يتماشی معها.

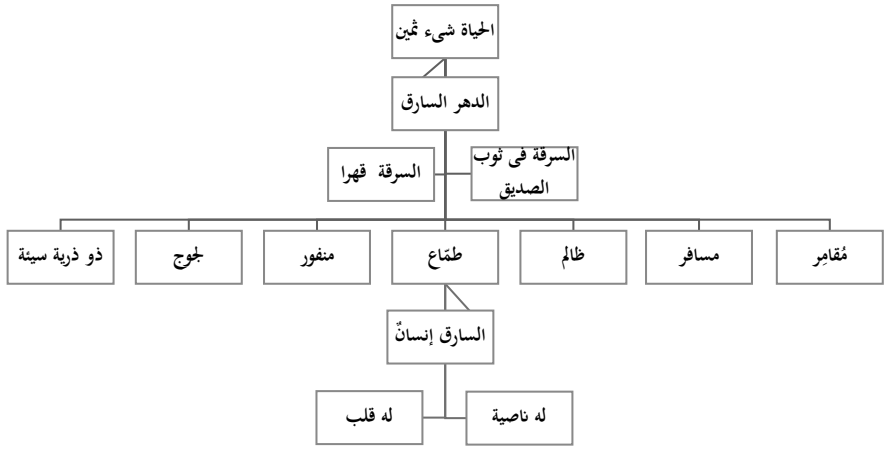

٢- الحياة رحلة

إن بعض الاستعارات الأنطولوجية التشخيصية لـ"الدهر" في ديوان أبي تمام تقوم على الاستعارة التصورية "الحياة رحلة". يبين الجدول التالي التطابقات بين الحياة والسفر:

الحياة	السفر
الولادة	المبدأ
الموت	المقصد
الناس	المسافرون
عمر الإنسان	الطريق
قدرات الإنسان المادية والمعنوية	وسيلة السفر
ما يجري في حياة الإنسان من النوائب	السدود والموانع
مرور الأيام و مضي الزمن	دليل السفر

وقد ركز أبو تمام على دليل السفر في استعاراته التشخيصية. إنّ مرور الزمن دليل ينبه المسافرين ليجهزوا أنفسهم لأنّهم قربوا من المقصد أي الموت. فيقول:

وهذا صباحُ اليومِ ينعاک ضوؤه وليلته تنعاک إن كنتَ تشعر

(أبوتمام، ١٩٨٦: ٤٢٩)

(نَعی ـَ نعياه: أخبره بالموت)

فهذی الليالی مؤذناتک بالبَلی تروح وأيام كذلک تبكر

(أبوتمّام، ١٩٨٦: ٤٢٩)

(آذن فلانا بالأمر: أعلمه به؛ البلی: الزوال والرثّ؛ بكر ـُ بَكورا: أتی غدوة؛ راح ـُ رواحا: جاء أو ذهب فی العشی وعمل فيه)

كلّما مرّ كل يوم من عمر الإنسان واقترب من منتصف العمر والشيخوخة، فهو فی الواقع اقترب من المقصد ونهاية رحلة الحياة أی الموت. مرور الوقت هو نفس دليل السفر له وظيفة تحذير المسافرين لحزم أمتعتهم والاستعداد للوصول إلی المقصد.

بـ: الاستعارات التشخيصية اللغوية

إنّ عدداً لا يستهان به من الاستعارات التشخيصية فی قصائد أبی تمام يعود إلی استعارات لغوية لا تتمحور حول استعارة تصويرية تتعلق بالتشخيص نفسه بل تشير إلی الخصائص النفسية والذهنية للشاعر وتجربته المعيشة. ويمكن تصنيف دوافع الشاعر فی الإكثار من هذه الاستعارات إلی أقسام تالية:

١- اللجوء إلی التشخيص لتقليل مشاعر الوحدة والعزلة

فقد أبو تمام والديه فی سن مبكرة للغاية واضطر للسفر إلی مدن وبلدان مختلفة لكسب لقمة العيش (فروخ، ١٩٧٥: ٢٥٣). ولذلک فمن الطبيعی أن يتشكل لديه الشعور بالوحدة منذ الصغر. من ناحية أخری، العديد من الرحلات تجعل الإنسانَ ليس لديه أصدقاء دائمين فی الحياة. بناء علی هذا، يحكی أبوتمام إنسانا بلا مأوی يجتاب الصحاری لإدراک الرزق حسب اعترافه بقوله:

بأی وخدِ قِلاصٍ واجتيابِ فَلا إدراک رزقٍ إذا ماكان فی الهَرَبِ

(أبوتمّام، ١٩٨٦: ٤١٩)

(الوخد: ج وخود، إسراع البعير يرمى بقوائمه كالنِّعام؛ القَلوصُ من الإبل: ج قِلاص، الطويلة القوائم، الشـابَّة منها أو الباقية على السير؛ اجتاب البلادَ: قطعها وسافر إليها؛ الفلاة: ج فَلا، الصحراء الواسعة؛ الهَرب: الفرار؛ أدرك الشيءَ: لحقه)

أو بقوله فى قصيدة أخرى:

فكـم مهمة قفر تعسّـفت متنه على متنها والـبُّرَ من آله بحر

(م.ن: ٤٢٣)

(المهمة: ج مِهام، الصحراء الواسـعة؛ القَفر: ج قِفـار، الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ؛ تعسّـف البعير: أتعبها بالسـير؛ متن الأرض: ج مِتان، ما ارتفع منها واسـتوى؛ المتن: ج مِتان، الظهر؛ الآل: السراب أو هو ما يشاهد فى الضحى كالماء بين الأرض والسماء كأنّه يرفع الشخوص)

بنـاء على ما مـرّ، إنّ أباتمّام يحاول العثور على المفقود فـى حياته أى الأب والأم والأقـارب والأصدقاء و... من خلال تشـخيص الحيوانات والأشـياء حتى العواطف والمشـاعر وأعضاء جسـم الإنسان. ولذلک نرى فى أشـعار أبى تمام أبيات لا تحصى، التشخيص على أساس مفهوم القرابة والصداقة والمودة:

إذا المكارم عُقَّت واستُخِفَّ بها أضحى السدى والندّى أمّاله وأبا

(أبوتمّام، ١٩٨٦: ٢٥)

(عَقّ ـُ عُقوقًا الولدُ والدَه: استخفّ به و ترک الإحسان إليه؛ استخفّ به: أهانه؛ السّدى: الندى)

فى هذا البيت يريد الشـاعر أن يقول إن الناس العاديين لم يشـموا رائحة الكرامة لكن الممدوح إنسـان كريم للغاية. وكما نرى شخّص المكارمَ للتعبير عن هذا الموضوع واستخدم علاقة القرابة من نوع الأب والأم.

عقّ الولدُ الوالد ⟵ عقّ الناسُ المكارم ⟵ الناس: الولد/ المكارم: الوالد

السدى والندى: الوالدان/ الممدوح: الولد

ويمكن تفسير ذلک بأن أبا تمام تخيل نفسه هنا أيضاً. يرى نفسَه مكرمة لاتحظى بعناية تجدر بها. ومن صدد آخر، من خلال جعل "السـدى" و"الندى" كوالدين للمدوح أراح نفسَـه برغم أنّه فقد والديـه إلّا أنّ تقدير الذات وعظمة شـخصيته يدعمانه كما يدعم

الوالدان ولدَهما.

هناک کثیر من الاستعارات اللغوية التشخيصية نجدها فی ديوان أبی تمام ترکّز علی مفهوم الصداقة والأنس ويمکن تفسيرها بأن الشاعر يقول ضمنا إنّه قد التجأ إلی المعاشرة وعقد صلة الصداقة بينه وبين الشجون والفضائل الأخلاقية وبعيره وحتی أعضاء جسده لتلبية حاجته إلی العلاقات الاجتماعية مؤکّدا علی عزلته فی الحياة. هو يقول:

متی ترعی لقلبک أو تُنيب وخدناه الکآبة والنحيبُ

(م.ن: ٤٢٠)

(رعی ـَ رعاية الأمرَ:حفظه واهتمّ به؛ أناب له: حَفِلَ به؛ الخدن: ج أخدان، الحبيب والصاحب؛ الکآبة: سوء الحال وانکسار من الحزن؛ النحيب: رفع الصوت بالبکاء)

أو بقوله:

صحِبت وجدَک المدامع فيه بنجيع بعبرة مصحوب

(م.ن: ٣٧)

(صَحِبَ ـَ صُحبة ه: لازمه ورافقه وعاشره؛ الوجد: حبّ شديد؛ المِدمَع: ج مدامع موضع الدم ومجراه؛ النجيع من الدم: ما کان مائلا إلی السَّواد؛ العبرة: ج عِبَر، الدمعة، الحزن بلا بکاء)

أو بقوله:

وکأنّما قلبی بمخلب طائر وکأنّما عللّته بطِلاء

(أبوتمّام، ١٩٨٦: ١٢)

(علّل هـ: سقاه سقيا بعد سقی؛ الطلاء: ما طبخ من عصير العنب حتّی ذهب ثلثاه وقد يکنی به عن الخمر)

أو بقوله:

ولقد هششت له زمان غَضارتی ودعوته فأجاب وغر دعائی

(م.ن: ١٢)

(هشّ ـِ هَشاشة له: تبسّم وخفّ له؛ غَضِرَ ـَ غَضارة: طاب عيشه؛ الوغر: الصوت والجلبة)

أو بقوله:

ما عَلَى الوَسجِ الرواتک من عتم ب إذا مـا أتـت أبـا أيـوب

(م.ن: ٣٨)

(الوسّـاج والوسوج من الإبل: ج وُسُج، السريع من الإبل؛ الراتک: ج رواتک؛ إبل تعدو فی مقاربة خطو)

وعلـی هذا نری منه عدة اسـتعارات تشـخيصية مبنية على الاسـتعارة التصورية "الدوام صلة قرابة":

أَلِف الأسـی وكأنّما بين الأسی قُرَبٌ وبين غوامض الأحشاء

(م.ن: ١٢)

(أَلِف ← ألفاه: أنِس به وأحبّه وفاعله ضمير "هو" المسـتتر مرجعه "قلبی" فی البيت السابق؛ القُربة: ج قُرَب، القرب فی الرحم)

وهنا يقول الشـاعر إنّ قلبه وحزنه صديقان وناصران لبعضهما البعض. وهذا يعنی أن الشاعر ليس لديه صديق حميم فی حياته والشخص الوحيد الذی يثق به هو الحزن نفسـه. بتعبير آخر إنّ وجود الشـاعر ملیء بالآلام ولا يشعر بالسـعادة وكذلک يريد الشـاعر أن يقول إن هذه الأحزان ليسـت مؤقتة بل دائمة فی حياته. للتعبير عن هذا الموضوع قد بنی التشخيص على الاستعارة التصورية "الدوام هو علاقة القرابة" و يبين الجدول التالی التطابقات بين هذين المفهومين:

الدوام والاستمرار	القرابة
يشـعر الشـاعر أنه لن يتخلص مـن هذه الآلام مـازال حيا ويجری الحديث عن آلامها حتّی بعد موته	علاقة القرابة دائمة ولاتنتهی حتّی بوفاة الشخص
ولد الشـاعر فی عائلة فقيرة. كمـا كُتِب له الألم والمعاناة منذ ولادته.	فی العلاقات النسـبية تحدث القرابة منذ الولادة وعن طريق الوالدين

ولم يكـن للشـاعر أى دور فـى اختيار أسـرته وظروفه المعيشية	ليس للإنسان إرادة حرة فى اختيار أقاربه.

ثمّ يقول فى البيت التالى:

لا من هوى عَكَفت عليه شجونه لصدود مُهضمة الحَشاء غيداء

(أبوتمام، ١٩٨٦: ١٢)

(عَكَفَ – عَكفًا القوم عليه: استداروا به ؛ الشَجَن: ج شُجُون، الهمّ والحزن؛ الصدود: الإعراض؛ مُهضمة الحشاء: خميص البطن؛ غيداء:امرأة لطيفة بشرها لين)

قد شـخّص الشـاعرُ الهوى والشجون فى هذا البيت على أسـاس مفهوم "القرابة". كأّن الحب كبير العائلة والأحزان هم أقارب آخرون وشـباب الأسـرة يسـتدارون به. التطابقات بين المفهومين هى:

الهوى والشجون	كبير العائلة
للحـب مكانة خاصة فى قلب الإنسـان ويتغلب على كل العواطف والمشاعر الإنسانية	لكبـير العائلة مكانـة خاصة وكلامـه هو فصل الكلام
وفـى الوقت نفسـه، الحـب يجلب معـه الحزن. الأحزان تنشأ من الحب	ويتأثـر الآخرون تأثيرا كبيرا به وترتبط هويتهم به

ويقول فى هذا الصدد فى بيت آخر:

وغرائـب تأتيـک إلّا أنّهـا لِصَنيعِک الحسنِ الجميلِ أقارب

(م.ن: ٣٢)

(الغريبـة مـن الكلام:البعيد الفهم؛ الصنيع: ج صُنُع، .الإحسـان ؛ أقارب الرجل:ذو عشيرته الأدنون به)

فى هذا البيت يرى الشـاعر أن محتوى قصيدته وإحسـان ممدوحه شخصان بينهما صلـة القرابة. وزغمّ أن الاسـتعارة التصورية "الدوام صلة القرابـة" إلّا أنّ القرابة فى هذا البيت سببية؛ لأن هذه القرابة لا يمكن أن تكون قد نشأت منذ ولادة الشاعر. وترد المطابقات بين المفهومين فى الجدول التالى:

الدوام والاستمرار فى مضمون القصائد	القرابة السببية
بعد التعرف على الممدوح بدأ الشاعر مدحه واختصّ محتوى قصائده بفضائل الممدوح.	. فى مرحلة ما من الحياة، يتم إنشاء هذه القرابة للناس نتيجة للزواج.
إذا عومل الشاعر بقسوة أو اضطهده الممدوح انقطع هذا االمديح	مع طلاق الشخص أو أقارب آخرين يتم إلغاء هذه القرابة

يقول فى هذا الصدد فى بيت آخر:

فَسَل العيسَ ما لديها وألِّف بينَ أشخاصِها وبين السُّهوبِ

(أبوتمام، ١٩٨٦: ٣٧)

(العيس: الإبل البيض يخالط بياضها سواد خفيفٌ، كرام الإبل؛ الشخص: ج أشخاص، سواد الإنسان وغيره تراه من بعد؛ السُّهب من الأرض: ج سُهوب، .أرض مستوية بعيدة)

هنا أيضًا يشخّص الشاعر ظلَّ الجمل والصحارى كشخصين صديقين ويذكر ضمنيا أن حياته مرتبطة بالسفر وهو يسافر كثيرًا فى هذا الطريق لدرجة أنّه بين ظل الجمل والأرض نشأت علاقة الصداقة. .

فى بعض الحالات يستخدم الشاعر علاقة الحب والصداقة هذه، لتأسيس السمات السلبية. هو يقول:

فداء نَعلكَ مُعطى حَظَّ مكرُمةٌ أصغى إلى المطل حتّى باع ما وَهبَا

(م.ن: ٢٥)

(النعل: ج نِعال، الحذاء؛ الحظّ: ج حُظوظ، النصيب من الخير والفضل، اليسر والسعادة؛ أصغى إليه:مال إليه بسمعه؛ مَطل ـُ مَطلًاه حقَّه: سوّفه بوعد الوفاء مرّة بعد أخرى؛ وَهب ـَ وهبا المالَ فلانا: أعطاه إياه بلا عوض)

فى هذا البيت يعبر أبو تمام عن استيائه تسويف الممدوح وإخلافه الوعد. ويعتبر التسويف بوصفة ميزة سلبية إنسانًا مقربًا من الممدوح لدرجة أنه يقدم له النصائح ويستمع الممدوح إلى كلامه إصغاءً. وكما يتبين هنا فإن الشاعر قد استخدم فرصة الصداقة والصحبة بين البشر وغير البشر ليذكر ضمنا أن الممدوح مسوّف للغاية قد

ترسّخت هذه الصفة فى كيانه حتى أصبح إخلاف الوعد شخصا مؤثّرا عليه.

٢- الارتقاء بالمفاهيم الأخلاقية والإنسانية العالية

يمكننا القول إنّه لم تطرح أى قضية أخلاقية فى ديوان أبى تمام إلا أن فيها استعارة. وفى هذه الأثناء يبدو أن تشخيص المفاهيم الأخلاقية قد تمت بهدف ارتقائها.

شَهِدت له عُصَب المكارم أنّه هو رَبّها من بعد ذى الآلاء
صدَقت وما كذبت وفيه بدائع كَثُرت بدائعُها على الشعراء

(م.ن: ١٣)

(العُصبة: ج عُصَب، الجماعة؛ المكرمة: ج مَكارم، فعل الكرم؛ الإلى: ج آلاء، النعمة؛ بديعة: ج بدائع، ما أحدث على غير مثال سابق)

قد استخدم الشاعر فى هذين البيتين استعارة تصويرية واستعارتين لغويتين لتصوير فضائل الممدوح الأخلاقية. أوّلا اعتبر وجود الممدوح ظرفا (فيه بدائع) واعتبر المكارم بذورا. لقد زرع الممدوح بذرة الأخلاق فى وعاء كيانه (ربّها) وأثمرها. إنّ سمات الممدوح الجديدة هى ثمرة هذه البذرة. وترد المقابلات بين المفهومين فى الجدول التالى:

المكارم	النبات
الجين الأصيل والنسب	بذور النبات
وعاء وجود الممدوح	الأرض الخصبة
الممدوح	المزارع
الإشادة بتحسين الذات	الرعاية والسقى
الخصائص البديعة	المنتج والثمرة

من ناحية أخرى إن الشاعر استخدم الاستعارة اللغوية التشخيصية من جرائها يعتبر المكارم إنسانا يشهد شهادة صادقة. وقد تم هذا التشخيص للارتقاء بالمكارم.

الفخر مفتخر به وبه نما وإليه حين سَما إلى العلياء

(أبوتمام،١٩٨٦: ٣٩)

(نما ـُ نموًّا: زاد وكثر وارتفع؛ سما ـُ سُمُوًّا إليه: علا وارتفع؛ العلياء: كلّ مكان مشرف)

فى هذا البيت تظهر كذلک الاستعارة التصورية "الفضائل الأخلاقية نبات (بذور)". هــذه الفضائل تنمو وتثمر تحــت اهتمام الممدوح ورعايته الدقيقة. وفى الوقت نفســه، تشــخيص الفخر يؤكّد على وجود الممدوح الفخــور ويضاعف قيمته الذاتية. كما يقول فى بيت آخر:

ذَهَبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أ مُذهب أم مَذهب

(م.ن: ٣٩)

(المذهــب: ج مذاهب، الطريقة؛ ذهب ـَ ذهابا بالمذهــب: اتّبعه؛ التوى الحبل: صار مفتولا:؛ المُذهب: زوال العقل)

٣- التخيل

كما ذكرنا ســابقًا قد تنجم الاستعارات التشخيصية عن قوة خيال صاحبها الواسع. تتجلى قوة خيال أبى تمام واستيعابها فى الأبيات التى وصفها فيها مظاهر الطبيعة:

رُبى شفعت ريح الصبا لرياضها إلى الغيث حتّى جادها وهو هامع

(م.ن: ٤٢٥)

(الربوة: ج رُبى، ما ارتفع من الأرض، التلّة؛ شَــفَع ـَ شــفاعة لفلان إلى زيد: طلب من زيد أن يعاونه؛ الروضة: ج رياض، أرض مخضرّة بأنواع النبات؛ جاد ـُ جودا المطرُ الأرضَ: أصابها مطر غزير؛ هَمَعَ ـُ همعًا الطلّ على الشجرة: سال الندى عليه)

يصف الشــاعر فى هذا البيت هبوب الرياح وحركة السحب وهطول الأمطار على التــلال. ولكنــه يتخيل أنّ الرياض كأبنــاء التلال. تذهب الريح إلى الســحب كاللحية البيضاء وتطلب منها أن تأتى فوق التلال وتســقى أطفالها. كما تقبل الســحب شــفاعة الريح فينزل المطر الغزير على الرياض.

فَبِشر الضُّحى غَدوًا لهنّ مضاحكٌ وجَنب النَّدى ليلًا لهنَّ مُضاجِعُ

كِســاك من الأنوارِ أصفَر فاقعٌ وأبيــض نصَّاعٌ وأحمر ســاطعُ

(أبوتمام، ١٩٨٦: ٤٢٥)

(البِشر: بشاشة الوجه؛ الضحی: حین تشرق الشمس، الشمس؛ ضاحک هـ: ضحک معه؛ الجنب: ج أجناب، شـقّ الإنسان وغیره؛ الندی: ج أنداء، المطر، الطلّ؛ ضاجع هـ: وضع جنبه بالأرض فی جواره؛ الکسـاء: ج أکسـیة، الثوب؛ النَور: ج أنوار، الزهر أو الأبیض منه؛ الفاقع: الخالص الصافی من الألوان؛ النصّاع: الخالص؛ الساطع: ذو تلألؤ)

فی هذین البیتین یدخل الشـاعر فی تفاصیل حدیقة الزهور؛ یصف شروق الشمس ووقـوع الندی علی البتلات لیلاً، وأزهار الریاض وهـی صفراء وبیضاء وحمراء. لکنه یطیر فی سماء خیاله. إنه یری هذه الطبیعة الجمیلة أشـخاصا یتعایشـون بسلم. تبستم الشمس المبتهجة صبحا للریاض. ولیلا تضع البتلات والندی رؤوسها علی سریر واحد و ترتدی الریاض فستانا جمیلا بتصمیم الزهور الملونّة.

یقول أیضًا فی وصف المطر:

ألا تـری ما أصـدق الأنواء قد أفنـت الجحـرةَ واللأواءَ

(م.ن: ۳٦۸)

(صَدَق ـُ صَدقًا فی الحملة: أظهر فیها بسـالةً؛ النَّوء: ج أنواء، المطر؛ أفنی الشـیء: أهلکه وأعدمه؛ الجحرة: القحط؛ اللأواء: الشدّة والمحنة)

فی هذا البیت یصف الشـاعر المطر الغزیر الذی هطل بعد فترة من الجفاف. ویعتبر الجفاف عدوًا غاصبًا احتلّ الأرض. والمطر یشبه مقاتلا باسلا یفاجئ هذا العدو المحتلّ ویقضی علیه.

أو فی قصیدة أخری یقول فی قدوم الربیع وانصراف الشتاء:

والأرضُ من رِدائها القشـیبِ فـی زاهر مـن نبتهـا رَطیبِ
بعدَ اشتهاب الثلج والصَّریب کالکَهلِ بعد السِّنّ والتجریب
تبـدّل الشَّـباب بالمشـیبِ کم آنسـت من جانب غریبِ
وغلبـت من الثـری المغلوب ونفّسـت عن بارضٍ مکروب
وسـکنت من نافـر الجَنوب وأقنعـت مـن بلـد رغیـب

(أبوتمام، ۱۹۸٦: ۳٦۹-۳۷۰)

(الرِّداء: ج أردیة، ما یلبس فوق الثیاب کالعباءة والجُبّة؛ القشیب: ج قُشُب، الجدید؛

الزاهر: الحسن من النبات؛ الرطيب: الرخص والناعم من الغصن والريش؛ الاشتهاب: بياض يتخلّله سواد؛ الصَريب: ج صُرُب، اللبن الحامض؛ الكَهل: ج كُهول، من كانت عمره بين الثلاثين والخمسين تقريبا؛ السنّ: ج أسنان، العمر؛ التجريب: الاختبار والامتحان؛ بدّله بكذا: غيره، اتّخذ منه عوضا؛ آنس هـ: لاطفه؛ الغريب: ج غُرباء، العجيب غير المألوف؛نفّس عنه الكربة: لطّفها وفرّجها؛ البارض: أوّل ما تخرج الأرض من نبات؛ المكروب: الذى اشتدّ عليه الغمّ؛ سكّن المتحرّک ونحوه: جعله قارّا؛ النافر: الجازع والمتباعد؛ أقنع فلانا الشيء: رضّاه؛ الرغيب: الواسع)

فى فصل الشتاء، كانت الأرض رجلاً فى منتصف العمر. بعد اكتساب تجارب الحياة، استبدل الشباب بالشيخوخة. والآن ترتدى الأرض ثوباً جديداً من النباتات الخضراء فى فصل الربيع. لقدكانت فشلت التربة من البرد فى الشتاء. لكن الآن تغلبت الغيوم على الجفاف وحررت البذور الحزينة السجينة فى التراب. الرياح الشموش هدأت الشتاء وأرضت الأرضَ وأسرّتها.

النتيجة

١. إنّ الاستعارات الأنطولوجية التشخيصية فى ديوان أبى تمام تدور عادة حول محور مفهوم "الدهر" ومجموعته الفرعية المتشكلة من الزمن ومروره و حوادث الدهر ونوائبه. وقد بنيت هذه الاستعارات على الاستعارتين التصوريتين هما "الحياة شيء ثمين" و"الحياة رحلة".

٢. إنّ المحن والخسائر والمصاعب التى شكلت تجربة أبى تمّام المعاشة جعلته يعتبر الدهر سارقا ينوى سرقة ممتلكاته ومن ناحية أخرى أثّرت تأثيرا مباشرا رحلاته العديدة على اصطفائه الاستعاة التصورية "الحياة رحلة".

٣. إن تشخيص الحيوانات والأشياء والعواطف والمشاعر، والفضائل والرذائل الأخلاقية، وأجزاء جسم الإنسان مع التركيز على خصائص الصداقة والأنس والقرابة يظهر رغبة أبى تمام فى المعاشرة والتعاملات الإنسانية من ناحية، والوحدة المتجذرة فى وجوده منذ طفولته من ناحية أخرى. وكذلک الاستعارة

التصورية "الدوام صلة القرابة" تدلّ على فقدان الأسرة والأقارب عند الشاعر.

٤. إن إضفاء الطابع الإنسـانی على الفضائل الأخلاقية يهدف فی بعض الأحيان إلى ارتقاء تلك المفاهيم وتعظيمها.

٥. إن تخيل الشـاعر الواسـع فی إبداع الاسـتعارات التشـخيصية قد تجلّى فی الوصفيات لاسيما فی وصف مظاهر الطبيعة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- أبوتمّـام، حبيب بن أوس الطائی. (١٩٦٨م). الديوان. شـرح وتعليق: شـاهين عطية. ط١. بيروت: مكتبة الطلاب.

- أفراشـی، آزيتا (١٣٩٥ ش). مبانی معناشناسی شـناختی. ط ١. طهران: پژوهشگاه علوم انسانی ومطالعات فرهنگی.

- اونز، وی ويان و گرين، ملانی (١٤٠٠ش). مبانی زبان شناسـی شـناختی. ترجمه: جهانشاه ميرزا بيگی، ط٣. تهران: نشر آگاه.

- الحراصـی، عبـد الله (٢٠٠٢م). دراسـاتٌ فی الاسـتعارة المفهومية. ط٣. عمان: مؤسسـة عثمان للصحافة والأنباء والنشر.

- راسخ مهند، محمد. (١٣٩٠ش). درآمدی بر زبان شناسی شناختی. چ٢. تهران: سمت.

- روشن، بلقيس واردبيلی، ليلا. (١٣٩٥ش). درآمدی بر معناشناسی شناختی. چ٢. تهران: نشر علم.

- عمـر، بن دحمـان. (٢٠١٢م). الاسـتعارات والخطاب الأدبـی مقاربة معرفية معاصـرة. أطروحة الدكتوراه. جامعة مولود معمری، تيزی وزو.

- فتوحی، محمود. (١٣٩١). سبک شناسی نظريه ها، رويكردها و روش ها. چ١. تهران: سخن.

- كرتون، جميلة. (٢٠١١م). الاسـتعارة فی ظلّ النظرية التفاعلية "لماذا تركت الحصان وحيدا" لمحمود درويش أنموذجًا. رسالة الماجستير. جامعة مولود معمری تيزی وزو.

- لايكوف، جورج وجونسن، مارک. (٢٠٠٩). الاستعارات التی نحيا بها. ترجمة: عبد المجيد حجفة. ط٢. المغرب: دار توبقال للنشر.

- لعور، هجيرة. (٢٠١٨م). «الاستعارة التصورية فی رواية "عندما تشيخ الذئاب" لـ جمال ناجی من منظور لايكوف وجونسون». مقاربات. المجلد الأوّل. العدد ٢. صص ٢٥٤- ٢٤٥.

- نادری، إسماعيل وبی بی راحيل سـن سبلی ومحمد محمدی چلسی وإبراهيم نامداری. (١٣٩٩ش). «دراسة الاستعارة المفهومية ومخططات الصورة فی مجموعة "تأبّط منفی" الشعرية (وفقًا لآراء لاكوف

وجونسون)». السنة ١٠. العدد ٤٠. صص ٩٨-٧٧
- هاشمی، زهره. (١٣٨٩). نظرية اســتعارة مفهومی از ديدگاه ليكاف و جانسون. ادب پژوهی. العدد ١٢. صص ١١٩-١٤٠.
- ـــــــــــ (١٤٠٢). عشق صوفيانه در آينة استعاره. چ٢. تهران: علمی.
- Croft, W& Cruse, D. (2004). Cognitive Linguistics: An introduction. Edinburgh University Press
- Lakaff, G. (1993). The Contemporary Teory of Metaphor. In Metaphor and Thought (2nd edition). Edited by Andrew Ortony. Cambridge University Press.
-Kovecses, Z. (2010). Mataphor Apartical Introduction. Secend Edition. New York: Oxford University Press.
- Nubiola, J.)2000(.El valor cognitivo de las metáforas. Pamplona: P.Pérez-Ilzarbe y R. Lázaro, eds., Verdad, bien y belleza. Cuando los filósofos hablan de los valores, Cuadernos de Anuario Filosófico n° 103, pp. 73

المواقع الإلكترونية

https://mantracare.org/therapy/issues/anthropomorphize

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی